الأنثروبولوجيا وموقفها من النموذج الثقافي الأحادي

كلود ليفي ستروس أنموذجا

Anthropology and its position on the monocultural model

Claude lévi-strauss is a model

بوغفالة أحمد

جامعة وهران2 محمد بن أحمد (الجزائر)، boughoufala.ahmed@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/28 تاريخ القبول: 2022/03/04 تاريخ النشر: 2023/07/31

ملخص: تعتبر الأنثروبولوجيا من العلوم التي اهتمت بالقضايا الإنسانية المعاصرة كالتنوع الثقافي والانفتاح على الآخر وأزمة العنصرية من خلال ممثلها كلود ليفي ستروس ،وذلك بنقده للمركزية الغربية وما تحمله من أزمة معنى في المجال الثقافي،بحيث تهدف هذه الدراسة إلى تبيان دور الأنثروبولوجيا المتمثل في فهم جوهر الطبيعة الإنسانية والاهتمام بالآخر وثقافته، بهدف تحقيق الحوار بين الشعوب وليس من أجل تكريس النموذج الثقافي الأحادي، وهذا ما سنحاول تقديمه من خلال هذه المداخلة بإتباع المنهج التحليلي للكشف عن خلفيات الخطاب الإيديولوجي الذي يكرس النموذج الثقافي الأحادي و إبراز أهمية التنوع الثقافي والابتعاد عن تلك الثقافة المتعالية التي تكرس العنصرية باعتبارها من القضايا الأساسية لعلوم الإنسان في الفكر الفلسفي المعاصر.

كلمات مفتاحية: الأنثروبولوجيا ، النموذج الثقافي الأحادي، العنصرية،التنوع الثقافي ، وحدة العقل.

Abstract: Anthropology is one of the sciences that is concerned with contemporary human issues such as cultural diversity, openness to the other and the crisis of racism through its representative, claude Lévi-Strauss whose study aimed at the birth of a new philosophy. The traditional philosophical concept in the field of science and knowledge of human culture and the rehabilitation of this mind after the marginalization it was subjected to by criticizing European centralism and in the contemporary time to discussing issues related to contemporary societies Such as racism and caring for the other and his culture ,and revealing the truth of cultural diversity with the aim of achieving dialogue between civilizations and not in order to perpetuate the monocultural model ,and this is what we will try to present through this intervention trying to address a number of questions that Strauss tried to defend represented in racial discrimination and cultural diversity and the other as being One of the basic concepts of human science in contemporary philosophical through in order to know the cultural development in its true course.

Keywords : Anthropology, monocultural model, racism,cultural diversity, unity of mind.

1. مقدمة:

تعتبر الأنثروبولوجيا من العلوم التي اهتمت بالقضايا الإنسانية المعاصرة كالتنوع الثقافي والانفتاح على الآخر وأزمة العنصرية من خلال ممثلها كلود ليفي ستروس محاولا الكشف عن جملة من القضايا المتعلقة بالواقع الإنساني والمتمثلة في النموذج الثقافي الأحادي الذي يتضح من خلال تساؤلاته حول مسألة التمييز العنصري من أجل معرفة حقيقة التطور الثقافي في مساره الحقيقي، وذلك بالعودة إلى دراسة المجتمعات البدائية، لأن الأنثروبولوجيا تعتبر من بين العلوم الإنسانية التي قامت بنقد التصورات والآراء ذات الطابع العنصري، والتي تؤكد على تفوق الإنسان الغربي على غيره من الشعوب الأخرى. وهذا ما نلاحظه من خلال تساؤلات كلود ليفي ستروس الذي يحاول من خلالها إبراز مواقفه النقدية و تصوراته وآرائه المتعددة و المتنوعة للكشف عن الحقائق المتعلقة بالواقع الثقافي الإنساني الحقيقي من خلال علم الأنثروبولوجيا ،وذلك بنقده للمركزية الغربية و مناديا بالتنوع الثقافي والانفتاح على الآخر من أجل معرفة الإنسان الكلي والكشف عن حقائق العقل البشري،لأن الأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة الإنسان و يساهم في معرفة الآخر و سلوكه و معتقداته من أجل إعطاء نظرة كلية و شاملة حول هذا الكائن و نتاجه الفكري و الثقافي في الماضي والحاضر ،وعليه لا يمكن أن ننكر الوضع المتأزم الذي أصبح يعيشه الإنسان في الوقت الراهن وفي مجالات متعددة كالصحة والبيئة والسياسة والاقتصاد بحيث أصبح الإنسان عاجزا في التعامل مع هذه الأوضاع الكارثية التي تهدد كينونته ، وهذا ما سنحاول التطرق له من خلال هذه الورقة البحثية التي نناقش فيها موقف الأنثروبولوجيا من النموذج الثقافي الأحادي باعتبارها من العلوم الإنسانية التي تهتم بدراسة الإنسان طبيعيا وثقافيا وحضاريا، وعليه نقول ما موقف الأنثروبولوجيا من أزمة العنصرية المعاشة التي تهدد الوجود الإنساني

؟ ماهي رؤية كلود ليفي ستروس لتجاوز أزمة التمييز العنصري ؟ و ما موقفه من النموذج الثقافي الأحادي الذي ابتكره العقل الغربي؟.

2. مفهوم الأنثروبولوجيا:

يجمع المؤرخون على أن علم الأنثروبولوجيا تعود بداياته الأولى إلى اليونان ، و نظرا للتطور العلمي والفلسفي الذي حصل في أوروبا ، حاول الإنسان الغربي الأوروبي اكتشاف مجتمعات أخرى ، و ذلك عن طريق الرحلات و المبشرين و العسكريين و المكتشفين ،وهذا ما أتاح الدخول في مرحلة جديدة من هذا الاختصاص المتمثل في علم الأنثروبولوجيا باعتباره علما قائما بذاته،يهتم بدراسة الإنسان طبيعيا وثقافيا واجتماعيا، فالأنثروبولوجيا "عبارة عن لفظة إفرنجية مكونة من مقطعين و هي " anthropos" بمعنى إنسان ، و "logos" بمعنى علم، تتناول تطور الإنسان منذ ثقافته البدائية " (وهبة، 2007، صفحة 101)

تعتبر الأنثروبولوجيا كغيرها من العلوم الإنسانية التي تهتم بالطبيعة الإنسانية ، إنها آلية للتفكير في فهمها وتفسيرها للقضايا والمسائل المتعلقة بالواقع الثقافي الإنساني انطلاقا من منهجها الخاص و موضوعها الذي أصبح لا يهتم فقط بالمجتمعات البدائية، و إنما امتدت لتعالج الأزمات الراهنة الخاصة بالمجتمعات المعاصرة التي تهدد الوجود الإنساني في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحضارية، فالأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة الإنسان من أجل فك رموزه و الكشف عن كل ما هو متواري و خفي في جميع الميادين الطبيعية و الاجتماعية و الثقافية ، و هذا يدل على أن هذا العلم يبحث في الطبيعة البشرية في كليتها و شموليتها التي تشكل الرؤية العامة لهذا الكائن البشري باعتباره كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده عادات و تقاليد اجتماعية و في ظل ثقافة معينة، وهذا ما يؤكده كلود ليفي ستروس في قوله : " إن الأنثروبولوجيا ترمي إلى معرفة الإنسان

معرفة شاملة تشمل شخصه بامتداده التاريخي والجغرافي كله " (ليفي ستروس، الأنثروبولوجية البنيوية، 1977، صفحة 408)

لا شك أن رأي كلود ليفي ستروس يبين لنا نظرته في دراسته للإنسان من خلال سلوكه وعاداته و تقاليده داخل المجتمع الذي يعيش فيه مع الأفراد الآخرين، و هذا في جميع المجالات الطبيعية و الثقافية و النفسية من أجل بناء نظرة عامة عن هذا الكائن البشري منذ نشأته و تطوره على المستوى الفكري و المعرفي ، و ما يؤكد هذا القول هو ما قاله مارك أوجيه " إن الأنثروبولوجيا بوصفها علم الإنسان ، فهي تجمع الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية و هذه الأخيرة ترادفها مع الأثنولوجيا ، فهي تهتم بكل الجماعات الإنسانية أيا تكن مميزاتها ، و في إمكانها أن تجعل موضوع دراستها كل الظواهر الاجتماعية التي تستحق تفسيرا من خلال العوامل الثقافية " (أوجيه و كولاين، 2008، صفحة 15).

3. الأنثروبولوجيا والحركة الاستعمارية:

يهدف علم الأنثروبولوجيا إلى التعرف على الأجناس البشرية و الأعراق في المجتمعات البدائية لمعرفة عاداتهم و تقاليدهم وطقوسهم وطريقة تفكيرهم ،إلا أن الأنثروبولوجيا كان هدفها معرفة الآخر من أجل امتلاكه والتحكم فيه ، و ذلك من خلال التعرف على كيفية التفكير و نمط السلوك لدى هذه الشعوب بحيث " منذ أوائل القرن الحالي يسود اتفاق عام على التسليم بأن الأناسة المجتمعية مفيدة للحكم ،فقد أعرب وزراء المستعمرات وحكامها عن اهتمام متزايد بالتعليم والبحث الإناسيين" (برتشارد، 1986، صفحة 127)، لأن الأنثروبولوجيا حاولت البحث عن الاختلاف الموجود بين الثقافات الموجودة في تلك المجتمعات البدائية من أجل معرفة عاداتها و تقاليدها ، مع العلم أن نشأة هذا العلم هو ثمرة عصر النهضة الذي حاول من خلاله الإنسان الأوروبي الغربي دراسة السلوك البشري

للآخر ، و هذا ما جعل بعض الفلاسفة و المفكرون يرون بأن هناك ارتباط وثيق بين الأنثروبولوجيا و الاستعمار باعتبارها أداة استعمارية ، و هذا ما يؤكد عليه "محمد أحمد بيومي" :" لقد ارتبط أول استخدام عملي للأنثروبولوجيا – وهو الاستخدام الذي ما زال شائعا حتى اليوم– بإدارة شعوب المستعمرات ، فنجد إدارات المستعمرات الفرنسية والبريطانية والهولندية تستخدم الأنثروبولوجيا على نطاق واسع" (بيومي، 1983، صفحة 45)، أي بمعنى أن الأنثروبولوجيا عملت على تسهيل مهمة الاستعمار في السيطرة والهيمنة على تلك الشعوب،و في السياق نفسه يقول " نظير جاهل " في مدخل كتاب الفكر البري " ويقول ستراوس هذه المرة في الأنثروبولوجيا البنيوية و بجرأة ، إن الأنثروبولوجيا وليدة عصر من العنف عصر الاستعمار ..." (ليفي ستروس، الفكر البري، 2007، صفحة 10)

إن ما يمكن أن نستخلصه هو أن الأنثروبولوجيا علم يهتم بدراسة الإنسان وسلوكه و معتقداته و عاداته و الاهتمام بالمجتمعات البشرية البدائية و ثقافتها التي لم تكن مألوفة لدى الأوروبيين من أجل معرفتها ،إلا أن الحركة الاستعمارية في القرن التاسع عشر قامت ببسط نفوذها على تلك الشعوب الضعيفة من أجل السيطرة والهيمنة عليها ،وذلك لاستغلالها ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ،وهذا ما يتجلى من خلال تلك الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية التي يقوم بها الباحثون الأنثروبولوجيون حول هذه الشعوب بهدف معرفة بنيتها وتركيبتها الثقافية والاجتماعية ،وهذا ما يؤكد عليه بريتشارد قائلا:" إذا كانت السياسة الاستعمارية لحكومة ما(وهذا ليس ببعيد عن الأفهام) تقوم على حكم شعب من الشعوب بواسطة رؤسائه ،فمن المفيد أن يعرف من هم هؤلاء الرؤساء ،ما هي وظيفتهم، وسلطتهم وامتيازاتهم وواجباتهم ،فإذا سلمنا بأن حكم شعب ينبغي أن يتم وفقا لشرائعه الخاصة وعاداته الخاصة ،يجب أولا أن نكتشف ما هي هذه الشرائع وهذه العادات" (برتشارد، 1986، صفحة 127)، وهذا يؤكد ارتباط الأنثروبولوجيا

بالحركة الاستعمارية خاصة وأن هذه العلوم أصلها و مصدرها غربي وعليه نقول" إن النظرية الأنثروبولوجية هي نظرية إثنية مركزية بالضرورة ،مادامت تنظر إلى محتوى الثقافات غير الغربية بلغة الثقافة الغربية ومن زاوية الأنثروبولوجيا بنظرتها الشيئية" (لكلرك، 1990، صفحة 233)، أي أن الغرب يحاول استخدام العلم والمعرفة الغربية لامتلاك الآخر ،وذلك بفرض نموذجه العلمي والثقافي بهدف الهيمنة والسيطرة على الشعوب و ليس من أجل مساعدة هذه الشعوب البدائية على التقدم والتطور ،وهذا ما يؤدي إلى نوع من التمركز حول الذات بحيث يصبح الغرب هو المركز والآخر هو الهامش ومنطلقا من تلك النظرة الثقافية التي تساهم في تكريس النموذج الثقافي الأحادي القائم على الإقصاء وعدم الاعتراف بتلك الشعوب ،فالنموذج الثقافي الغربي أصبح شكل من أشكال العنصرية التي سيتطرق لها ليفي ستروس من خلال مشروعه الأنثروبولوجي الذي يحيلنا إلى ميلاد فكر فلسفي جديد يسير في الاتجاه المعاكس للفلسفات السابقة التي ساهمت في إنشاء النموذج الثقافي الأحادي باعتباره المرجع الأساس المتبع من قبل الغرب ،وهذا ما جعل كلود ليفي ستروس يقدم جملة من التصورات والآراء ذات طابع نقدي محاولا تعرية الخطاب الإيديولوجي انطلاقا من الأنثروبولوجيا باعتبارها شكل من أشكال الوعي الإنساني بحيث يتمثل " دور الأنثروبولوجيا في تقديم نقد ثقافي للغرب وتعرية الطبيعة المصطنعة للأديولوجياته المهيمنة والتي تخدم مصلحتها الذاتية ،كما تتمظهر في الفن والأدب والبحث العلمي ووسائل الإعلام وبالطبع في الإثنوغرافيا" (كوبر، 2008، صفحة 237)، وعليه نقول بأن كلود ليفي ستروس من خلال الأنثروبولوجيا يحاول تقديم نقد للنموذج الثقافي الأحادي الغربي الذي ازدهر في القرن التاسع عشر، وذلك بإعطاء رؤية وتصور تجعلنا نبتعد عن تلك الثقافة المتعالية التي تكرس العنصرية ،وهذا ما نلاحظه في كتابه العرق والتاريخ الذي

يعرض فيه أفكاره وتصوراته حول التنوع الثقافي وفكرة التمييز العنصري بحيث يؤكد على أن التعاون والتواصل الثقافي بين الشعوب يؤدي إلى الابتعاد عن سياسة التهميش والإقصاء والانفتاح على الآخر و تلاقح الثقافات البشرية مع بعضها البعض ورفض العزلة والانكماش لأن كل حضارة تتقدم وتتطور بتواصلها مع الحضارات الأخرى.

4. من النموذج الثقافي الأحادي إلى التنوع الثقافي:

يعتبر كلود ليفي ستروس من رواد الفكر البنيوي الذين تركوا بصمتهم في مجال الأنثروبولوجيا ،والذي كانت دراسته ترمي إلى ميلاد فلسفة جديدة بحيث اهتم بدراسة المجتمعات البدائية محاولا الإجابة عن التساؤلات التي شغلت الإنسان الأوروبي الغربي ، وذلك بتقديم رؤية نقدية حول المفهوم الفلسفي التقليدي في مجال العلوم والمعرفة الخاصة بالثقافة الإنسانية، ورد الاعتبار للمجتمعات البدائية محاولا التعبير عن رؤيته و تصوره لمجتمع مغاير لنموذج المجتمع الغربي، وذلك بنقده للمركزية الغربية وما تحمله من أزمة معنى في المجال الثقافي بحيث " حث ليفي ستراوس الأنثروبولوجيين على توضيح أن الاختلافات بين الأشخاص لا تقاس بمقياس واحد ،لأن القيم متغيرات ثقافية، وعلى التأكيد في الوقت نفسه أن الاختلافات البشرية تقوم على أساس مشترك "(كوبر، 2008، صفحة 262) ، وفي السياق نفسه هناك تأكيد على أن " كل الثقافات هي نتاج المزج والاقتباسات والخلط الذي حدث - وإن كان بمعدلات مختلفة- منذ بدء العصور" (كوبر، 2008، صفحة 262)

يحاول ليفي ستروس من خلال الأنثروبولوجيا تقديم رؤيته النقدية للنموذج الثقافي الغربي الأحادي الذي فرضته الحضارة الغربية على تلك الشعوب بحيث " أقامت الحضارة الغربية جنودها ومؤسساتها المالية ومزارعها ومبشريها في العالم بأسره ،وقد تدخلت مباشرة أو غير

مباشرة في حياة السكان الملونين ،وقد قلبت رأسا على عقب نموذج وجودهم التقليدي سواء بفرض نموذجها أو بإقامة الشروط التي تؤدي إلى انهيار الأطر القائمة دون استبدالها بشيء آخر" (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 41)

انطلاقا من فكرة التمركز العنصري الغربي حاول ليفي ستروس معالجة هذه القضية من زاوية أخرى، وذلك بدراسته للمجتمعات البدائية محاولا الكشف عن حقيقة ووحدة العقل البدائي الذي يعتبره بمثابة المؤسس الحقيقي للحضارة الغربية، لأن الأنثروبولوجيا ساهمت في معرفة الآخر باعتبارها علم يهتم بدراسة الإنسان و سلوكه و معتقداته من أجل إعطاء نظرة كلية و شاملة حول هذا الكائن و نتاجه الفكري و الثقافي في الماضي و الحاضر بحيث يقول ليفي ستروس" يمتلك الشرق والشرق الأقصى تقدما على الغرب يبلغ عدة آلاف من السنين ،لقد أنتجا هذه المقادير النظرية والعملية الكبيرة ،من اليوغا في الهند إلى تقنيات التأثير الصينية أو الرياضة الحشوية للماوري القدماء." (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 36) وفي السياق نفسه يقول " لا يمكن فهم الحضارة المصرية التي تعرف مدى أهميتها بالنسبة للإنسانية ،إلا كعمل مشترك لآسيا و أفريقيا كما أن الأنظمة السياسية الكبرى في أفريقيا القديمة وإنجازاتها القانونية ونظرياتها الفلسفية التي خفيت طويلا على الغربيين وفنونها التشكيلية وموسيقاها التي تستكشف بطريقة منهجية جميع الإمكانيات المتوفرة عبر كل وسيلة للتعبير، كلها دلائل على ماض في غاية الخصب" (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 37)،وهذا يؤكد بأن الحضارة الغربية ليست أقدم تعبير عن تطور البشرية في المجال الثقافي والحضاري وإنما تعمدت إقصاء الآخر باعتباره همجي وبربري ومتوحش بهدف تكريس النموذج الثقافي الأحادي في جميع المجالات العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية حتى يصبح الآخر تابعا لها ويمكن التحكم فيه،و"مما لاشك فيه أن أنظمة الإنسانية الكبرى الفلسفية والدينية سواء البوذية والمسيحية أو الإسلام والنظريات الرواقية والكانتية أو الماركسية قد وقفت ضد هذا الضلال" (ليفي ستروس، العرق والتاريخ،

1952، صفحة 15)،و عليه نقول بأن الاتجاهات الفلسفية أو الديانات السماوية كانت دائما تنادي و ترفض التمييز بين الثقافات و الأعراق ، بحيث نجد الماركسية التي تدافع عن العقل البدائي لما تعطي أهمية كبيرة للحضارات البدائية لما توصلت إليه من اكتشافات والتي كانت السبب الرئيسي في تطور المجتمع الغربي بحيث يقول " إنجلز " في قوله : " العصور الممعنة في القدم ... منطلقها الإنسان الذي تحرر من النظام الحيواني ، و محتواها التغلب على صعوبات سوف لا يواجه مثلها بشر المستقبل المتحدين " (ليفي ستروس، الأنثروبولوجية البنيوية، 1983، صفحة 447)

يحاول ليفي ستروس من خلال دراسته الأنثروبولوجية الوصول إلى معرفة كلية وشاملة حول الإنسان لأن الأنثروبولوجيا باعتبارها من العلوم الإنسانية التي أصبحت بمثابة مفتاح لمعرفة الآخر، وهذا ما نلاحظه لدى ليفي ستروس الذي ينتقد النموذج الثقافي الغربي الأحادي المعادي للآخر وثقافته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه حاول الاعتراف بالإنسان من خلال الأنثروبولوجيا التي تهدف إلى دراسة شاملة وكلية للطبيعة البشرية والابتعاد عن النزعة العنصرية ونقد فكرة التفوق الغربي من خلال رد الاعتبار للإنسان البدائي خاصة فيما يخص حقيقة العقل البشري ، و هذا ما يؤكده إيدموند ليتش في قوله " اهتمامه منصب على كشف حقائق العقل البشري لا الحقائق الخاصة بتنظيم مجتمع محدد أو صنف من المجتمعات " (ليتش، 2002، صفحة 04)

يسعى كلود ليفي ستروس إلى التأكيد بأن العقل واحد في كل زمان و مكان سواء عند البدائي أو المتحضر ، محاولا تكوين و بناء نظرية عقلية قائمة على أساس النقد و التمحيص ، خاصة لتلك الآراء و التصورات التي وصفت المجتمعات البدائية على أنها لا تتسم بالتفكير العقلي و ذات عقلية غير منطقية ، لهذا اعتبر العقل البدائي مماثلا للعقل المتحضر و ذلك من خلال تبيان أثر العقل البدائي في تنوع الثقافات ، و هذا ما نلاحظه فعلا في كتابه " العرق و التاريخ " ، عندما يتحدث عن تنوع الثقافات و النزعة العرقية و مكانة الحضارة الغربية و

ما وصلت إليه من تقدم حيث يقول : " فإن تنوع الثقافات الإنسانية لا ينبغي أن يدعونا إلى نظرة مجزئة أو مجتزأة ، إذ أنه نتيجة للعلاقات التي تجمع ما بين الجماعات أكثر مما هو بفعل انعزالها عن بعضها البعض " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 12)

يحاول كلود ليفي ستروس إعادة الاعتبار للفكر البدائي محاولا تقديم رؤية جديدة لهذه الثقافات السابقة و ذلك بإعادة النظر في المفهوم الفلسفي و الأنثروبولوجي للمجتمعات البدائية باعتبارها ذات تفكير ساذج و خرافي لأن العقل الإنساني واحد في كل زمان و مكان مهما اختلفت و تعددت الثقافات و الحضارات و يرى بأن العقل البدائي له الفضل الكبير في تأسيس المعارف و العلوم ، وهذا ما نلاحظه عند الشعوب و المجتمعات القديمة و ما حققوه من تقدم و تطور، و في هذا الصدد يقول " أن جميع الناس دون استثناء يمتلكون لغة و تقنيات و فنا ، و معارف من نمط علمي و معتقدات دينية و نظام اجتماعي واقتصادي و سياسي " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 38).

حاول ليفي ستروس أن يقوم بتأسيس نظرة مغايرة تماما تعكس لنا رؤيته النقدية اتجاه الذين سبقوه في دراساتهم للعقلية البدائية ، محاولا ربط أفكاره و تصوراته العلمية والمعرفية ، من خلال عملية البحث و التساؤل عن كل ما هو خفي و متواري لدى تلك المجتمعات البدائية لهذا كان اهتمامه واضحا و مباشرا نحو الآخر من أجل تكوين نظرة هدفها تغيير تلك الرؤى حول هذه المجتمعات البدائية وهذا هو السبب المباشر لرفضه صفة العقل المتوحش والبدائي لهذا جاء تصوره حول العقل البدائي مخالفا لآراء الذين سبقوه بحيث يرى بأن العقل المتوحش يتميز بالتفكير العقلاني والمنطقي والتأمل النظري وليس عملي و عاطفي وخرافي، فهو عقل مماثل للعقل المتحضر و ليس هناك اختلاف بين العقل البدائي و المتحضر فكلاهما يتسم بالتفكير العقلي المحض بحيث "يحاول أن يفهم الخصوصيات الثقافية وأن يثبت الوحدة الفكرية للجنس البشري في آن معا" (ستروك، 1996، صفحة 26)، و هذا ما حاول ليفي ستروس الوصول إليه في دراسته لتلك المجتمعات

وثقافتها التي تتميز بها، وذلك في تأكيده على تنوع الثقافات وعدم المفاضلة بينها إلا أن الاختلاف يكمن في كيفية التعامل مع القضايا والمشاكل التي تصادفهم،كما أنه عاش الحرب العالمية الثانية وتعرف على حقيقة المجتمعات القوية والضعيفة ، أو الشعوب المستعمرة والمستعمرة لهذا جاءت صرخته قوية اتجاه العنصرية التي كان دائما ينتقدها فهو ضد النزعة المركزية الغربية.

إن الدراسات التي أقامها لتلك المجتمعات و القبائل سواء في أمريكا أو آسيا من خلال سفرياته المتعددة متوصلا إلى أن هناك عقل واحد في كل زمان و مكان ، و أن هناك خصائص ثقافية مشتركة فيما بين هذه الثقافات، لهذا فهو يؤكد على التنوع الثقافي و ما يحمله من قيمة ومكانة فكرية وعلمية لتلك العقول البشرية محاولا الكشف عن ثنائية المتحضر والمتوحش أو حقيقة العلاقة بين الغرب والآخر لأن المعرفة عند ليفي ستراوس " قد ارتبطت بتجربة الآخر فإن اهتمامه بدراسة المجتمعات البدائية كان تعبيرا عن اتجاهه إلى مجتمع مغاير لنموذج المجتمع الغربي المعاصر ،ومن هنا كانت طرافة دراساته التي قدمها عن المجتمعات البدائية ،والتي حاول من خلالها تغيير صورة العقلية المسماة بدائية" (الجزيري، 1999، صفحة 44)،لأنه يرى بأن المجتمع البدائي له ثقافته و المتحضر له ثقافته، و عليه فالتنوع الثقافي يهدف إلى تحقيق الحوار فيما بين الحضارات وليس من أجل تحقيق النموذج الثقافي الواحد الذي أصبح ينتقده بشدة خاصة في دحضه و رفضه للنزعة العرقية ، لأن ما وصلت إليه الحضارات المعاصرة ليس بمحض الصدفة، و إنما عن طريق التأثر بثقافات كثيرة ،لأن ما حققته من تقدم تم بفضل كل الثقافات التي مرت عبر التاريخ الإنساني ،و هذا ما يؤكده ليفي ستروس في قوله بأن" وضع الثقافات التي توصلت لتحقيق أشكال التاريخ الأكثر تجميعية ، هذه الأشكال القصوى لم تكن أبدا عمل ثقافات منعزلة ، ولكن عمل ثقافات كثيرة جمعت إراديا أو لا إراديا ، أدوارها الخاصة،وحققت عبر وسائل متنوعة

(الهجرة، التبادل التجاري ، الخروب) هذه الائتلافات التي تخيلنا نموذجها" (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 55).

يتضح مما سبق بأنه ليس هناك نموذج ثقافي واحد، و إنما هناك عملية تأثير و تأثر بالثقافات الأخرى التي تؤدي بدورها إلى التقدم والتطور بحيث أصبح للتنوع الثقافي دوره الفعال في العصر الحالي، و هذا ما نلاحظه عند بعض الفلاسفة و المفكرين الذين يرفضون النزعة العنصرية و ينادون بحوار الحضارات ،و ما يمكن ملاحظته هو أن هذا التنوع الثقافي المتمثل في ثقافات العصور الحجرية والنيوليتية و كل ما حققته الحضارة الغربية نتيجة لتلك المكتسبات التي كانت موجودة في المجتمعات القديمة و البدائية ، لهذا نقول بأن الحضارة الغربية هي نتيجة لتعدد وتنوع الثقافات التي ساهمت فيها الحضارات القديمة والمجتمعات البدائية ، و التي تعتبر السبب المباشر فيما وصلت إليه هذه الحضارة، ولهذا يقول ليفي ستروس " كانت أوروبا بداية عصر النهضة ، مكان التقاء و انصهار أكثر المؤثرات تنوعا : التقاليد اليونانية و الرومانية و الجرمانية و الانجلوساكسونية و كذلك المؤثرات العربية و الصينية " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 58.57)، وهذا ما جعل ليفي ستروس يؤكد ويعترف بأحقية العقل البدائي في عملية الابتكار و الإبداع لأن العقل البدائي و رغبته في السيطرة على الطبيعة و تلبية لحاجاته العملية هي التي جعلته يساهم في انجاز بعض الوسائل بفضل قدراته العقلية و الفكرية ، لهذا نجد ليفي ستروس يؤكد على ما حققه الإنسان البدائي و القديم في مجالات عديدة و متنوعة حيث يقول : " أن الحضارة الغربية عكفت على مهماتها بوحدانية ربما يكمن فيها ضعفها ، وهي ليست بالتأكيد الوحيدة ، فكل المجتمعات الإنسانية منذ الأزمنة المتأخرة جدا تحركت في الاتجاه نفسه وإنها مجتمعات بعيدة جدا وقديمة جدا تلك التي نساويها مختارين بالشعوب " المتوحشة " الحالية ، التي قطعت في هذا المجال أشواطا حاسمة من التقدم " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 42)

إن ليفي ستروس ينتمي إلى الحضارة الغربية المعاصرة ولا يمكنه أن ينكر ما وصلت إليه العقول البشرية في هذه الحقبة الزمنية لكنه و نظرا لرؤيته العميقة اتجاه المجتمعات البدائية محاولا إبراز حقيقة العقل البشري في كل زمان ومكان و مدى مساهمته في بناء الحضارة الغربية التي استفادت من كل المعارف و العلوم التي توصل إليها العقل البشري منذ القديم إلى يومنا هذا مؤكدا في قوله " نحن ما زلنا مرتبطين بالاكتشافات الهائلة التي ميزت ما نسميه ، دون أية مغالاة ، الثورة النيوليتية ، الزراعة و التربية و الخزفيات والحياكة ...و منذ ثمانية آلاف أو عشرة آلاف سنة لم نضف على كل هذه " الفنون الحضارية " سوى الزيادة في الإتقان " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 43.42)

يهدف ليفي ستروس في دراسته للمجتمعات البدائية إلى رد الاعتبار للعقل البدائي مبينا رأي بعض الفلاسفة الذين سبقوه في نبذهم لهذه الرؤية الضيقة التي تعمل على إقصاء الآخر وتحاول أن تجعل منه إنسانا تابعا لها ،لهذا نجده يرفض فكرة التقدم باعتبارها فكرة خاصة بالثقافة الغربية مؤكدا على أن " شعوبا ينظر إليها في الغرب كبدائيين قد تفوقوا علينا في الإنجاز الأخلاقي بل وفي بعض المجالات التكنولوجية .." (كوبر، 2008، صفحة 184) ، إذن هناك رؤية و نظرة إيجابية اتجاه الإنسان البدائي القديم الذي عبر عنه بعض الفلاسفة و المفكرين الذين ينادون بمكانة تلك الشعوب البدائية و ما تمتلكه من خصوصيات ثقافية نحن في حاجة ماسة إليها ، لهذا كان لزاما علينا التعرف عليها للاستفادة من أفكارهم و معارفهم وعلومهم ،لأن التنوع الثقافي هو أساس بناء الثقافات والحضارات من خلال التعارف فيما بينها، لهذا نجد هناك اهتمام كبير بالآخر و ما يمتلكه من إنتاج ثقافي و ما حققه من إبداع بفضل التآزر و التعاون بين الأفراد ضمن المجتمع الواحد ،وهذا ما يتضح من خلال أعمال وأبحاث ليفي ستروس الأنثروبولوجية التي يؤكد فيها على أهمية التواصل الثقافي بين الشعوب و القبائل و المجتمعات من أجل التقدم و التطور بحيث يقول" على الناس أن يتعاونوا لكي يتقدموا و في مجرى هذا التعاون يتعرفون تدريجيا على

تقديماتهم التي كان تنوعها الأولي تحديدا سببا في جعل تعاونهم خصبا و ضروريا " (ليفي ستروس، العرق والتاريخ، 1952، صفحة 66)، وذلك لتأسيس تصور جديد حول الثقافة الإنسانية الغربية من أجل تحقيق الانفتاح على الآخر ورفض سياسة التهميش والإقصاء بهدف خلق علاقات ثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية قائمة على أساس القيم الأخلاقية المتمثلة في التعايش السلمي والتسامح والتعاون بين الشعوب لتحقيق السلم والأمن العالمي.

5. خاتمة:

استطاع كلود ليفي ستروس من خلال الأنثروبولوجيا نقد أزمة العنصرية و مناديا بالتنوع الثقافي و الانفتاح على الآخر من أجل معرفة الإنسان الكلي والكشف عن حقائق العقل البشري، وذلك بتقديم رؤيته النقدية اتجاه المفهوم الفلسفي التقليدي في مجال العلوم والمعرفة الخاصة بالثقافة الإنسانية محاولا رد الاعتبار للمجتمعات البدائية ، وذلك بنقده للنموذج الثقافي الغربي الأحادي خاصة وأن الأنثروبولوجيا كغيرها من أشكال الوعي الإنساني امتدت دراستها في الوقت المعاصر إلى مناقشة المسائل الخاصة بالمجتمعات المعاصرة كالعنصرية والاهتمام بالآخر وثقافته ،والكشف عن حقيقة التنوع الثقافي بهدف تحقيق الحوار بين الحضارات، وليس من أجل تكريس النموذج الثقافي الواحد .

يعتبر ليفي ستروس من الفلاسفة الأنثروبولوجيين الذين ساهموا بأفكارهم وتصوراتهم في الدفاع عن القضايا الإنسانية الراهنة المتمثلة خاصة في أزمة العنصرية التي أصبحت تهدد الشعوب المستضعفة التي تتعرض للتهميش والإقصاء بسبب الشروط والقيود المفروضة من طرف الغرب الذي أصبح يستخدم العلم والمعرفة الغربية لامتلاك الآخر،لهذا قام ليفي ستروس من خلال علم

الأنثروبولوجيا الاهتمام بالتنوع الثقافي والسير في الاتجاه المعاكس للفلسفات السابقة التي تسعى إلى تكريس النموذج الثقافي الأحادي ،ومؤكدا على التعايش والتواصل الثقافي بين الشعوب.

تهدف الأنثروبولوجيا إلى تقديم نقد ثقافي يخدم المصلحة العامة ،وذلك بالابتعاد عن تلك الثقافة المتعالية التي تكرس العنصرية ،والدفاع عن ثقافة الشعوب البدائية ،وتجاوز فكرة متحضر ومتوحش، وإلغاء تلك الفرو قات الموجودة بين الغرب والآخر باعتباره الهامش، وذلك من خلال تكريس ثقافة التعاون والتعايش والتعارف والحوار بين الحضارات من أجل العيش المشترك بحيث يساهم التنوع الثقافي في التقارب بين الشعوب وتعرية الخطاب الإيديولوجي الذي يكرس النموذج الثقافي الأحادي بأبعاده العلمية والثقافية والفلسفية بحيث حاول ليفي ستروس الدفاع عن القضايا المتعلقة بالواقع الحياتي الإنساني والمتمثلة في التمييز العنصري والتنوع الثقافي والآخر باعتبارها من المفاهيم الرئيسة لعلوم الانسان في الفكر الفلسفي المعاصر ،و يشير إلى خاصية مميزة للأنثروبولوجيا و هي النظرة الكلية والشمولية في دراسة الإنسان من أجل إعطاء نظرة كافية حول هذا الكائن و حياته ونتاجه الفكري و الثقافي و الحضاري في الماضي و الحاضر ،بحيث يحاول الكشف عن واقع التطور الثقافي في مساره الحقيقي وتقديم رسالة للعلوم الإنسانية والاجتماعية متمثلة في إزاحة النموذج الثقافي الأحادي ومناديا بالتنوع الثقافي والانفتاح على الآخر من أجل معرفة الإنسان الكلي والكشف عن حقيقته. لهذا جاءت صرخته قوية اتجاه العنصرية مؤكدا على وحدة العقل البشري والتعايش الثقافي.

5.قائمة المراجع:

1.آدم كوبر. (2008). *الثقافة التفسيرالأنثروبولوجي* . الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

2.إيدموند ليتش. (2002). *كلود ليفي ستراوس*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة .

3.إيفنتزبرتشارد. (1986). *الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظريات الأناسين*. بيروت: دار الحداثة.

4.جون ستروك. (1996). *البنيوية ومابعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا*. الكويت: المجلس الوطني.للثقافة والفنون والأداب .

5.جيرارلكلرك. (1990). *الأنثروبولوجيا والإستعمار*. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

6.كلود ليفي ستروس. (1977). *الأنثروبولوجية البنيوية*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

7.كلود ليفي ستروس. (1983). *الأنثروبولوجية البنيوية* (المجلد 2). دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

8.كلود ليفي ستروس. (1952). *العرق والتاريخ*. الجزائر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

9.كلود ليفي ستروس. (2007). *الفكرالبري*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع.

10.مارك أوجيه، و جان بول كولاين. (2008). *الأنثروبولوجيا*. بيروت: دارالكتاب الجديدة المتحدة.

11.محمد أحمد بيومي. (1983). *الأنثروبولوجيا الثقافية*. بيروت: الدارالجامعية للطباعة و النشر.

12.محمد مجدي الجزيري. (1999). *البنيوية والعولمة في فكركلود ليفي ستراوس*. مصر. دارالحضارة للطباعة والنشروالتوزيع.

13.مراد وهبة. (2007). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: دارقباء الحديثة.